

عنوان المحاضرة: الدلالة والتداولية

قسم اللغة والأدب العربي

مادة: علم الدلالة 1

المستوى: السنة الثالثة ليسانس

اختصاص: لسانيات عامة

أستاذ المادة: هشام بلخير

عناصر الدرس

تمهيد:

تعدُّ التداولية (La Pragmatique) آخر ما أنتجته اللسانيات الحديثة والمعاصرة؛ إذ ترجع أصولها إلى ما " أرساه بيرس (Charles Sanders Pierce) في القرن التاسع عشر، حين صاغه بـ (Pragmatics) عام 1905، ثم عدّل مفاهيمه وليم جيمس (W.James) وقوامه أن قيمة الأفكار المجردة تقاس بمدى انطباقها على الواقع وصياغتها عمليا ."

عناصر الدرس

ويظهر اختلاف نظرة التداولية إلى اللغة عن نظرة الاتجاهات اللسانية التي سبقتها (البنوية، والتوليدية التحويلية)؛ إذ انتقلت من الإخلاص للنظام اللغوي (من سوسير إلى تشومسكي) إلى التركيز على التوجُّه الاتصالي والوظيفي، فعدت اللغة جهازا نفعيا يحقق الوظيفة التواصلية استنادا إلى عناصر متشابكة من بنية النص ومن خارجها.

عناصر الدرس

التداولية هي " علم استعمال اللغة "(Language in use)، أو هي " مجموع النظريات التي تدرس كيفية استعمال الناطقين للغة في حالات الخطاب الملموسة ". أي البحث عن " القوانين [والقواعد] الكلية لاستعمال اللغوي، ومعرفة القدرات الإنسانية [لناطقين بنفس اللغة] للتواصل اللغوي ". أي أن التداولية تتعامل مع اللغة في بعدها التخاطبي-التواصلية.

ثالثاً: أسباب ظهورها

هناك مجموعة من الأسباب تقف وراء ظهور التداولية والاهتمام بها، نذكر منها ما يلي:
اتجه البحث في/إلى التداولية، لأنها تتمتع بتعدد الرؤى والأفكار، ونتيجة لقصور الدراسات اللسانية الشكلية السابقة، فتجاوزت التداولية درس اللساني من دي سوسير (De Saussure) إلى تشومسكي (Chomsky)، لأنها أهملت في مقاربتها للغة الجانب الحقيقي فيها وهو الاستعمال التواصلي بين الناس.

اتجاه معظم التفسيرات اللسانية لتكون داخلية بمعنى أن السمة اللغوية تُفسر بالإشارة إلى سمة لغوية أخرى أو إلى جوانب معينة من داخل النظرية، وظهرت الحاجة إلى تفسير ذي مرجعية خارجية وهنا ظهرت الوظيفية اتجاهاً ممهداً للتداولية. بدأ الاهتمام بها باعتبارها ردة فعل على معالجات شومسكي للغة بوصفها أداة تجريدية أو قدرة ذهنية قابلة للانفصال عن استعمالاتها ومستعملها؛

عناصر الدرس

2- والسبب الآخر هو التوصل إلى قناعة مفادها أن المقاربة النحوية والمقاربة الدلالية لم تستطعا لوحدهما التعامل مع ظواهر معينة ذات أهمية بالغة؛ كمشاكل المعنى ومشاكل الحقيقة، و يمكن اعتبار الإدراك المتزايد بوجود فجوة بين النظريات اللسانية من جهة ودراسة الاتصال اللغوي من جهة أخرى سبباً آخر في الاهتمام بالتداولية.

عناصر الدرس

رابعاً: أهم قضاياها

التداولية هي نتاج تشابك العديد من التيارات التي تشترك في عدد من أمهات الأفكار، وبخاصة:

سيمائيات بيرس.

نظرية أفعال الكلام (أوستين وسيرل).

دراسة الاستنباطات التي يقوم بها المشاركون في التفاعل (غرايس).

الأبحاث حول التلقظ اللغوي التي تنامت في أوروبا مع بالي، ياكبسون، بنفينيست، كوليو...
الأبحاث حول المحاجة [أو الحجاج].

دراسة التفاعل اللغوي.

بعض نظريات التبليغ / الاتصال كنظرية بالو آلتو.

عناصر الدرس

وعلى الرغم مما يسجل من التداخلات والالتباسات الناجمة عن علاقة التداولية بشتى العلوم، فقد أمكن تعيين مجموعة من القضايا اللغوية التي هي محل اهتمام التداولية، وتدخل في نطاق تخصصها.

لذا فقضاياها كثيرة ومتنوعة، وترجع هذه الكثرة وهذا التنوع إلى اعتبارات منها: اتساع مجالها، تعدد بيئة نشأتها، وتشابك العديد من التيارات في أفكارها...، وسنكتفي بذكر ثلاثة منها تعدد الأهم من بين قضاياها الكثيرة، وهي: الملفوظية، أفعال الكلام، الحجاج.

عناصر الدرس

1. الملفوظية:

تقوم التداولية في جوهرها على معادلة [أو تعديل] ثنائية: اللغة/ الكلام (Langue/parole)، إلى ثنائية (الملفوظ/التلفظ) (Enoncé/énonciation)، وهذه الفكرة تجد سندها في لسانيات التلفظ، فهي لا تقوم على فكرة التمييز بين اللغة والكلام، وإنما يكون التمييز " بين الملفوظ، الذي يُقصد به ما يُقال، والتلفظ، كفعل القول".

عناصر الدرس

2. أفعال الكلام:

تقوم هذه النظرية على مبدأ أن " الاستعمال اللغوي ليس [هدفه] إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معيّن أيضا في الوقت نفسه ".
وضع أصول نظرية الأفعال اللغوية أو أفعال الكلام الفيلسوف أوستين (Austin)، وأقام بناءها سيرل (Searle)، ووسّع مجالها غرايس (Grice) وفان إيميرن (Van Emeren) وغروتندورست (Grootendorst)، وتقوم هذه النظرية إجمالاً على اعتبار أن الجمل اللغوية لا تنقل مضامين مجردة، وإنما تؤدي وظائف تختلف باختلاف السياقات والمقامات المتنوعة.
وقد شهدت هذه النظرية أطواراً ثلاثة أساسية: " تمييز مستويات مختلفة في الفعل اللغوي"، و " وضع شروط محددة للفعل اللغوي"، و " وضع قواعد خطابية للفعل اللغوي".

عناصر الدرس

3.الحجاج:

ما يهَمُّنا في هذا العنصر هو إبراز علاقة التداولية بالحجاج، إنَّه باب رئيسي فيها وأحد أركان التداولية. بل يعدُّ مجالاً غنيًّا من مجالاتها " يشترك مع العديد من العلوم الأخرى". على الرغم من انبثاقه من تيارين: تيار " المنطق والبلاغة الفلسفية"، تحت مسمّى (الفلسفة اللغوية)، وتيار " ينبع من اهتمام اللسانيين بالتخاطب وذاتية المتكلم وخصائص الخطاب". والخطاب الحجاجي شأن التداولية؛ إذ نجده " يخضع ظاهريا وباطنيا لقواعد شروط القول والتلقي...[و] تبرز فيه مكانة القصدية والتأثير والفعالية، وبالتالي، قيمة ومكانة أفعال الذوات المتخاطبة ". وقد أخذ الحجاج في اعتبار الدراسات التداولية في السنوات الثمانين من القرن العشرين؛ إذ يجمع جون بليز غرايز (J.B.Grize) بين المنطق والحجاج، أما روبير مارتان (R.Martin) فيدمج مفهوم ممكن الوقوع في نظريته الدلالية، وقد عاد أوزفالد ديكرو أخيرا إلى مفهوم المواضع لوضع آليات اللغة الحجاجية.

عناصر الدرس

وبالنظر إلى اتّساع مجال التداولية وتشعبه وانبثاقه من تيارين، كما سبق بيانه، فإنه "يجوز القول بوجود [تداوليات] تداولية البلاغيين وتداولية اللسانيين وتداولية المناطقة والفلاسفة، إلخ.

ويتمظهر البعد التداولي في الخطاب الحجاجي في مستويات عدة منها: مستوى أفعال الكلام، مستوى السياق، المستوى الحوارية أو التحوارية. وتتنظر بعض الاتجاهات التداولية إلى المستوى الحوارية على أنه أساس الحجاج. وتعتقد بعض الأطروحات أن الحجاج كامن في "بنية اللغة وليست صفة عرضية لبعض الخطابات. كما تتولّى التداولية وصف بعض الأشكال الأخرى الدقيقة للمحاجة.

عناصر الدرس

ولا يخفى على أحد أن الحجاج يعتمد على مقوّمات تداولية تبرز بشكل واضح اختلافه وتميّزه عن البرهان أو الاستدلال؛ إذ يميّز بين الدلالة الحرفية والمفهوم، في بعدين : بعد اجتماعي، وبعد جدلي منطقي، ففي الثاني يهدف إلى الإقناع، وفي الأول " يعتمد على المساهمة الجماعية [للمتكلمين] لتحقيق أغراض معيّنة ". دون أن نغفل بعده اللساني. رغم أنه، أي الحجاج، " لم يثر اهتمام اللسانيين إلاّ مع تطوّر التداولية على الرغم من أنه يشكّل جزءاً مهماً في حياتنا اليومية". وتتعدّد نظريات الحجاج تبعا للعلاقة الرابطة بينه وبين التداولية؛ إذ نجد ثلاثة اتجاهات رئيسة لدراسة الحجاج في البحوث التداولية؛ اتجاه منطقي، اتجاه لساني واتجاه محادثي تحاوري. فهو ظاهرة اجتماعية ثقافية له علاقة بالاستدلال والمنطق. والتواصل - في الخطاب الحجاجي - لا يتم من أجل لاشيء، بل يأتي لربط علاقات مع الآخر، بهدف التأثير فيه وعليه، أو على الأقل الاتفاق معه...

قوّة الحجّة هو ما يحدّد الإقرار بها على عكس البرهان، الذي يهتم بترتيب الحقائق. فالحجاج يتوجّه إلى المعتقدات من أجل تغييرها أو التأثير فيها، فيسعى إلى ترتيب القيم التي لها علاقة مع كل ما هو ممكن ومحبّب.

مراجع في التداوليات

بوطاجين: الترجمة والمصطلح؛ دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد.

فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة.

سامية الدريدي: **الحجاج في الشعر العربي القديم؛ من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنينه وأساليبه.**

دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن.

الصبيحي: مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه. محمد الأخضر

طه عبد الرحمن: الدلالات والتداوليات (أشكال وحدود). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. تجديد المنهج في تقويم التراث. اللسان والميران أو التكوثر العقلي.

عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب؛ مقارنة لغوية تداولية.

آن روبول وحاك موشلار: التداولية اليوم؛ علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني.

مسعود صحراوي: التداولية عن العلماء العرب؛ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي.

محمد سالم ولد محمد الأمين، "مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة.

إيف جانري: "نظرية المحاجة؛ اكتشاف جديد خصب"، ترجمة محمد يحياتن.

حبيب أعراب: "الحجاج والاستدلال الحجاجي؛ عناصر استقصاء نظري".

عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغيّر؛ مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج.

حسان الباهي: اللغة والمنطق؛ بحث في المفارقات.

صابر الحباشة: التداولية والحجاج؛ مداخل ونصوص.

مراجع في التداوليات

